دار المشرق

المَشرِقُ الرقميَّة

مجلّة إلكترونيّة تصدر مرّتين في السنة عن دار المشرق
العدد الأوّل. آذار ٢٠١٣

التكنولوجيا... فائدةٌ أم خطَر؟

آن ماري شكّور*

إنّ مبتغاي من خلال المقال الاجتماعيّ هذا أن أعبّرَ عن رأيٍ شخصيّ لطالما تمّ انتقادُه، ومع ذلك لم يتغيّر، بل راحَ يشتدُّ قناعةً يومًا بعد يوم. وقد يبدو موضوعًا في غاية البساطة أو لا يستحقّ الكلام عليه حتّى، ولكنّني أرغبُ بقوّة في تسليط الضوء على بعض مخاطره، أَحسّيّةً كانت أم معنويّة.

من الواضح أنّ التكنولوجيا باتت تحتلّ مكانةً مهمّة في عصرنا هذا، ومن الجليّ أنّها تقدّمُ أسرعَ الخدمات وأدقَّها أحيانًا. ولكن إلى أين ستوصِلُنا؟ وإلى أيّ مدًى ستتطوّر؟ وبأيّ اتّجاه؟ إنّ تأثيرَها في عقل الإنسان لَمُخيفٌ ومُربِك؛ فهل هو يستخدمها لحاجاته الدراسيّة أو المِهَنيّة، أم يعتمدُ عليها في كلّ شيء ويتّخذُها أساسًا لحياته، وطريقةً لتمضية وقته وقتل ضجَره؟ هل سيأتي يوم وتصبح ملجأه الأخير؟

سوف أتحدّثُ عن فئةٍ معيّنة من الإلكترونيّات تلقى رواجًا عظيمًا في أيّامنا هذه: الهواتف النقّالة وبعض الآلات التي تتجدّدُ بسرعةٍ لا تُقاس ، فنراها تجدِّدُ

---

*مسؤولة عن قسم التصحيح والترجمة في دار المشرق. من الأعمال التي نقلتها إلى العربيّة وتصدر قريبًا: **يسوع أخونا**، و**خطأة مدعوّون إلى القداسة**. كما نقلت إلى العربيّة مقالات ثقافيّة وأدبيّة ودينيّة صدرت في مجلّة **المشرق**.

الصِنفَ تِلوَ الآخر ممّا يحفِّز المُستهلِك بشكلٍ مستمرّ إلى اقتناء الأحدَث والأفعَل والأسرع، وهو، بدوره، خوفًا من أن يهزأ به سواه، يُسرع ليوفّر لنفسه "الموديل" الأخير الذي يحتوي على أكبر عددٍ من الإمكانيّات التكنولوجيّة ولكن... حتّى هذه الساعة. ففي الشهر التالي قد يظهرُ "موديل" جديد إن لم يحصل عليه، لا يكون "على الموضة". وأحدّدُ، في هذا الحديث، أنّ هدفي ليس التقليل من أهمّيّة التكنولوجيا وفائدتها على الإطلاق، ولا انتقاد المنافع والحلول التي تقدّمها ونفيدُ منها جميعًا كلّ يوم، بل ما أقصده هو طريقة استعمالها؛ علينا أن نجيدَ التمييز بين الحاجات الضروريّة والكماليّات، وهذا بالضبط ما يسيءُ الناسُ القيامَ به، أو بالحريّ يرفضونه، إذ أصبحَ الكثيرون أَسرى الشاشة وضحايا السهولة التي تؤمّنها. فلِمَ هذا الإدمان؟ لِمَ نعتمدُ على ذلك النوع من الكماليّات لنحدّدَ مكانتنا الاجتماعيّة ومكانة الآخرين بصورة خاصّة؟ نرى الناسَ يحكمُ بعضُهم على بعض بحسب الآلات الجديدة هذه والسيّارات الفخمة؛ فيُسرِعون لشرائها، وهكذا يُعلون شأنَهم بين الآخرين، وكأنّ قيمتهم كلَّها متوقّفة على المظاهر المادّيّة!!

وماذا عن الأولاد؟ إنّنا نلاحظ، أكثر فأكثر، إدمانَ هؤلاء الأحداث على الشاشات الصغيرة والهواتف النقّالة العصريّة؛ فهُم يكادون لا يهتمّون بغيرها من وسائل التسلية والمرَح. أصبحت تحتلّ المكانة الأولى في عقولهم وفي حياتهم الاجتماعيّة. قد يجدُ بعضُكم أنّي أُبالغ، ولكن هذه هي الحقيقة المُرّة؛ فالأولادُ يتنافسون ويتباهون في ما بينهم، والآباء لا يجرؤون على رفض شراء ما يلزم، وإلاّ خجلَ أبناؤهم أمام أصدقائهم واتُّهِموا "بالفشَل". وإنّ هذه الظاهرة تبدو طبيعيّةً اليوم لأنّ الجميع معنيٌّ بها، ولكن ألا يستحقُّ الأمرُ ولو قليلاً من التفكير؟ مَن يسألُ عن المخاطر التي قد تنجمُ عن ذلك؟ ومَن يقدّم الحلول؟ ترى ولدًا في عيد ميلاده، أو في عيد الميلاد، أو أيّ مناسبة أخرى، إن حصل على هديّةٍ ليست

من الإلكترونيّات، نظرَ إليها بازدراء ووضعها جانبًا، حتّى إنّه قد يطلبها مسبقًا من الشخص الآخر، وهكذا، يتوقّعُ ما سيجده بين يدَيه بعد تمزيق الورق الملوَّن. وفي رأيي، هذا أمرٌ مؤسِف لأنّ نوع الهدايا أصبحَ واحدًا يستحقّ الاهتمام. فأين اختفت تلك الألعاب التي كان أسلافُنا يصنعونها بأيديهم ويستمتعون بها؟ لقد كانوا يستعملون ذكاءَهم وتفكيرَهم فيفتخرون بما ابتكروه ويعرفون قيمتَه! أمّا الآلات العصريّة فهُم لم يفعلوا شيئًا لابتكارها، بل أتت إليهم في علبةٍ مُغلقَة، وهي تقدّمُ إليهم الخدمات بشكلٍ يشتدّ سهولةً كلّ يوم مع ظهور الاختراعات الجديدة، فلا تتطلّبُ منهم أيَّ مجهودٍ جسديّ.

أمّا حياة هؤلاء الأولاد الاجتماعيّة والعائليّة ففي تدهورٍ متزايِد، بحيث إنّهم يَنْزَوون في غُرفهم ويمضون ساعاتٍ طويلة أمام تلك الشاشات المُسيئة إلى عيونهم. فلا يعودون يعرفون مجالسةَ الوالدَين، ولا مشاهدة برامج تلفزيونيّة برفقتهما، ولا ممارسة أيّ نشاطاتٍ أخرى كالعزف على آلةٍ موسيقيّة – والموسيقى تهذّبُ الأخلاقَ وتنمّي الإحساسَ والذوق الرفيع. لقد صار نطاقُ التسلية عندهم محصورًا؛ فحتّى عندما يلتقون أصدقاءَهم في المطاعم أو الصالات السينمائيّة، لا ينفكّون ينظرون إلى هواتفهم ويكتبون الرسائل السريعة المليئة بالأخطاء الإملائيّة والرموز التي لا تتردّدُ في الظهور على أوراق مسابقاتهم المدرسيّة. فما الذي يتعلّمُه هؤلاء؟ وإلى أين يتّجهون؟ كيف يُعيرون ما يقوله المعلِّم في الصفّ أهمّيّةً، وعيونُهم لا تُفارقُ الشاشة الصغيرة هذه؟ (علمًا بأنّ حملها مسموحٌ في المدرسة، وبِئسَ النِظام!).

وأودّ بصورة خاصّة، في هذا الحديث، أن أُشيرَ إلى مكانة الكتاب ودوره في مجتمعنا هذا. يبدو أنّه أصبح وسيلة تعلُّم إجباريّة تُستخدَم في المدارس، والجامعات أحيانًا، بهدف الحصول على العلامات الكافية في بعض الامتحانات. ولكنّ الحقيقة غيرُ ذلك! فالكتاب ، وكما قيل مرارًا وتكرارًا، أعزُّ رفيق . يعلِّمنا

الإفادة من خبرة سوانا، ويقدّمُ إلينا المعلومات العلميّة والقصص المُثيرة التي نتقاسمها وغيرَنا في النقاشات والمَجالِس. كما يجعلُنا نستمتعُ بأجمل الأساليب الفنّيّة والأدبيّة، ولها أصحابُها. إنّه يُعلّمُنا الصبرَ والانتظار، حتّى الوصول إلى نهاية الحكاية أو الرواية. لذا فمن المؤسف أن نستبدل بالكتب الوسائلَ التكنولوجيّة بشكلٍ قاطِع. من المفترض إيجادُ حلٍّ وسَط، بحيث نحتفظُ بالكتاب لِما يقدّمُه إلينا من فائدة وثقافة، ونلجأ إلى الإلكترونيّات عند الحاجة. فما تنقلُه الكتب ليس موضةً قديمة، وما يُخبِرُه كُتّابُنا العظماء في سِيَرهم الذاتيّة يمكن تطبيقه اليوم، إذ إنّ الإنسان هو هو، والطبيعة اللبنانيّة هي هي، إن التزمنا بالحفاظ عليها كما يجب. إذًا، لمَ لا يمضي الأطفالُ فصلَ الصيف في الجبل، يكتشفون الجمالَ الطبيعيّ ويقدّرون قيمةَ كلّ شجرة وكلّ صخرة وكلّ نَبع ماء؟ لمَ لا يشجّعُهم آباؤهم على التمتّع بالصبر وهم يمشون بين الأشجار ويخترعون بعضَ الألعاب المُفيدة والرياضيّة؟ ألمْ يفعلوا ذلك في صغرِهم؟ فلمَ يكتفون بأخذِهم إلى المتاجر الكبرى والمحدودة التي تحصرهم بين جدرانٍ باردة لا أريجَ لها ولا لَون؟

إنّني أذكرُ طفولتي التي أمضيتُها بين بيروت ومنطقة برمّانا؛ وكم كنتُ ألهو برفقة شقيقتيَّ وابن عمّي وبعض أولاد الحيّ في الجبل! لم نكن لنقضيَ أكثر من ساعتَين، على أبعد حَدّ، داخل البيت، طوال العطلة الصيفيّة، ما عدا في حال إنهاء بعض الدروس المتوجّبَة علينا. وكانت أوقاتُنا تتراوحُ بين الاهتمام بكلابٍ وقِططٍ صغيرة قريبة من منازلنا، وركوب الدرّاجات، وجَمع الحلَزون بعد تساقُط أوّل قطرات المطر في أيلول... . ما زلتُ أذكرُ رائحةَ القشّ المبلول المتساقِط من شجر الصنوبر! في الواقع، ليس على الأمور أن تتغيّر، فما من سببٍ ليجد الناسُ، اليوم، أنّ هذا النوع من التسلية يضِرُّ الأولادَ أو يضيّعُ وقتهم الثمين.

في الختام، أقولُ إنّ التكنولوجيا، في نظري، سيفٌ ذو حدَّين؛ من الضروريّ إتقان استعمالها واللجوء إليها لتؤمّنَ لنا الحلولَ العمليّة اللازمة. أمّا إن أسأنا استخدامها وبالَغنا في الاتّكال عليها فستنقلبُ علينا، كما هي الحال في الكثير من المظاهر الإنسانيّة والنشاطات، أذكر منها: الشخصيّة القويّة التي تتحوّلُ إلى قليلة التهذيب في بعض المواقف، وألعاب القِتال المنظَّمة التي تتحوّل إلى وسيلةٍ سريعة لأذيّة الآخرين، وكذلك الحرّيّة الفرديّة التي تؤول بالإنسان إلى ارتكابِ الحماقات والتحلّي بسلوكٍ من أسوأ ما يكون. فلنُجِد التمييزَ والاختيار، ولنُتقِن التوفيقَ بين القِيم الفعليّة وكلّ ما هو ثانويّ في حياتنا.